

الأعمال والشغل في عصر المعرفة

د. سعيد بريكة

د. مسعي سمير

جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر

جامعة عباس لغرور، خنشلة، الجزائر

saidbrika@yahoo.fr

s_messai@yahoo.fr

ملخص البحث:

تمر الرأسمالية بمنعرج تاريخي؛ من نظام اقتصاديات الحجم أين يكون أساس القيمة هو حجم العمل البشري، إلى مرحلة جديدة من الإنتاج قائمة على درجة وكثافة الإبداع؛ أين يكون العنصر الأساسي في خلق القيمة هو مستوى المعرفة البشرية المسخرة في العملية الإنتاجية. يرمي هذا البحث إلى إمطة اللثام عن أهم التحولات التي يشهدها الاقتصاد العالمي الحالي، والتي كانت سبباً مباشراً وراء نشوء مفهوم اقتصاد المعرفة.

الكلمات المفتاحية:

اقتصاد المعرفة، كثافة المعرفة، المعرفة، الإبداع، الأصول المعنوية، العولمة.

résumé:

Le capitalisme négocie un tournant décisif ; lors de son passage d'une économie d'échelles où la valeur se détermine à partir du volume de travail humain, vers une nouvelle économie basée sur le degré et l'intensité d'innovation, et marquée par une création de valeur focalisée dans le niveau de la connaissance humaine consacré à la production. Cette étude vise à clarifier les principales mutations, que connaît l'économie mondiale actuelle, qui sont à l'origine de l'émergence du concept d'économie de la connaissance.

Mots clés :

Economie de connaissance, les actifs immatériels, la connaissance, l'innovation, la mondialisation.

مقدمة:

تمر الرأسمالية بمنعرج تاريخي؛ من نظام اقتصاديات الحجم Mass production system أين يكون أساس القيمة هو حجم العمل البشري، إلى مرحلة جديدة من الإنتاج قائمة على درجة وكثافة الإبداع Innovation mediates production؛ أين يكون العنصر الأساسي في خلق القيمة هو مستوى المعرفة البشرية المسخرة في العملية الإنتاجية. وبذلك تحولت العديد من المجتمعات خلال الثلاث العقود الأخيرة من مجتمعات صناعية تعتمد بشكل رئيسي في نشاطها على استغلال وتحويل الموارد المادية للطبيعة، إلى مجتمعات معرفية قائمة على إنتاج وتوزيع المعرفة¹، وبرزت معها سلسلة محورية جديدة قائمة على تثمين عنصر المعرفة البشرية. لذلك فإن اكتشاف خصائص وحقيقة هذه التغيرات التي تعصف بالاقتصاد العالمي، ودراسة آثارها على نشاط المنظمات أصبحت موضوعاً في غاية الأهمية، من خلال ما تقدم تطفو إلى السطح معالم إشكالية البحث المقدم وهي: ما هي أهم التحولات الحاصلة في بيئة الأعمال الحالية؟

بيئة الأعمال في عصر المعرفة

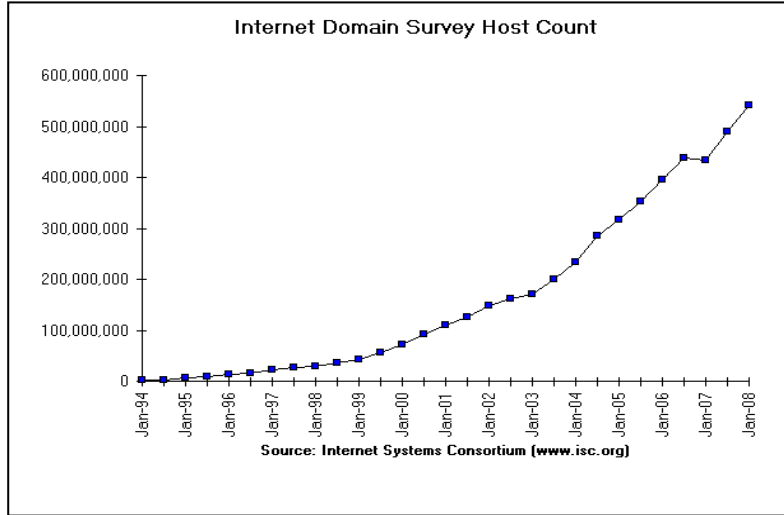
لعل أبرز تعريف لاقتصاد المعرفة هو ما جاءت به منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، والتي عرفت اقتصاد المعرفة knowledge economy على أنه مفهوم برز نتيجة إقرار تام بالدور الذي تلعبه المعرفة والتكنولوجيا في النمو الاقتصادي أكثر من باقي الموارد (موارد طبيعية، رأسمال، عمالة بسيطة... الخ)². وتختلف الأعمال في عصر المعرفة عن غيره من الاقتصاديات التقليدية (اقتصاد زراعي، اقتصاد صناعي) بجملة من المميزات والخصائص، نوجزها في عدة نقاط هي:

3-1- انتشار تكنولوجيا المعلومات: يشهد العالم خلال الآونة الأخيرة تزايداً كبيراً في معدلات استخدام أجهزة المعلومات وتكنولوجيات الاتصال في شتى مجالات الأعمال ومختلف جوانب الحياة الاجتماعية للأفراد. و يعود هذا الانفجار الحاصل في ثورة المعلومات والاتصالات بشكل رئيسي إلى الانخفاض المستمر في تكلفة أجهزة معالجة المعلومات ووحدات الاتصال³، والتطور السريع في التطبيقات المتعلقة بحاجات الأفراد والمنظمات (الرقمنة Digitalization ، تطور البرمجيات Software's، تكنولوجيات التصوير والمسح الضوئي Scanning and Imaging technologies، الذاكرات الإلكترونية وأدوات التخزين Memory and Storage technologies.... الخ).

أما إذا أردنا البحث عن قاسم مشترك يربط بين جميع هذه التكنولوجيات المذكورة سابقاً فلن نجد أفضل من شبكة المعلومات العالمية أو الإنترنت Internet، بصفتها تكنولوجيا وليدة جميع التطورات السابقة، ففي العقد الأول من تطور هذه الشبكة و بالذات عام 1989 كانت حكرًا فقط على مجموعة من

المتخصصين (حوالي 159000 مستخدم)، أما الآن وبعد قرابة 20 سنة، فقد تضاعف عدد مستخدمي هذا المورد إلى قرابة 600 مليون مستخدم ، و هو عدد مرشح للتزايد، كما هو موضح في الشكل الآتي.

الشكل01: تطور عدد مستخدمي شبكة الانترنت 1994-2008



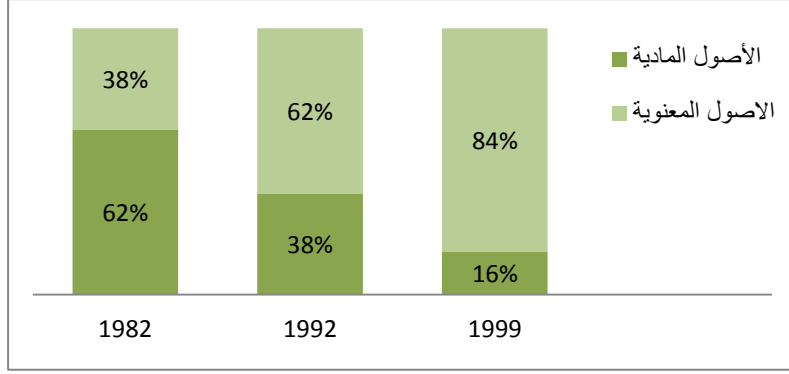
Source : www.isc.com, consulté le 15/09/2009

قد مكّنت هذه الطفرة السريعة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الأفراد والمنظمات من معالجة و تخزين وإرسال كميات كبيرة من المعلومات بتكلفة متدنية، إضافة إلى أن خاصية التغلغل Pervasiveness التي تتمتع بها مثل هذه التكنولوجيات؛ فبينما كانت في صورتها الأولى متركزة في قطاعات صناعية محددة، إلا أنها ما لبثت أن تطورت لتصبح ثورة عالمية Generic revolution تشمل كافة القطاعات بدون استثناء، وبشكل خاص الاقتصاد؛ فهي تؤثر على كل جزء ومفردة في الاقتصاد من سلع وخدمات، أفراد ومؤسسات، قطاع عام وخاص، وتمس جميع مراحل الدورة الإنتاجية للمؤسسات، بدءاً من البحث وتطوير، الإنتاج والتسويق، إلى غاية التوزيع النهائي للمنتج و ضمان خدمات ما بعد البيع.

3-2- ارتفاع حصة الأصول المعنوية:

لقد شهد عالم الأعمال خلال العقدين الأخيرين تحولاً ثورياً في المفاهيم الاستثمارية للمنظمات، حيث أصبح إنتاج السلع والخدمات وخلق الثروة يعتمد بشكل كبير على الأصول المعنوية بدل الأصول المادية. ففي سنة 1982 مثلاً كانت 62 % من استثمارات المؤسسات الأمريكية تنفق على الأصول المادية كالأراضي، المعدات... وغيرها من الأصول المادية الأخرى. وفي سنة 1992، أي 10 سنوات بعدها انخفضت النسبة إلى 37%⁴ ، أي أنّ أكثر من ثلثي هذه الاستثمارات ينتجها ما يسمى بالأصول المعنوية Intangibles assets.

الشكل02: تطور نسبة الأصول المعنوية إلى إجمالي الأصول للمؤسسات S&P 500



Source: Juergen H. Daum, intangible assets and value creation, op cit, p.4

3-3- نهاية الملكية الرأسمالية:

على عكس العمالة البسيطة التي سادت في العصر الصناعي، فالعمالة المعرفية في وقتنا الحالي تمتلك عناصر الإنتاج ، (معرفة ، خبرة...الخ) وهي أدوات يمكنهم أخذها معهم حين الانتقال من مؤسسة لأخرى. إذن إذا كانت المؤسسات تمتلك الأصول المادية المجددة في المعدات والمباني وغيرها فهي لا تمتلك هذا النوع من الأصول ، لذلك أصبحت العديد من المؤسسات (خاصة المؤسسات العالية المعرفة) تحافظ على رأسمالها المعنوي، عن طريق مكافئة العمال بمنحهم جزءاً من أسهم المؤسسة⁵. حيث تهدف مثل هذه المؤسسات من خلال هذه السياسة إلى ربط مهارات العمال برأسمال الشركة⁶. هي نفس الخلاصة التي ذكرها Daum حول نظرية كارل ماركس عن مجتمع العمال الذي يحصلون فيه على حصتهم من القيمة المضافة المتولدة من عملية الإنتاج⁷.

حتمية الإبداع لأجل البقاء:

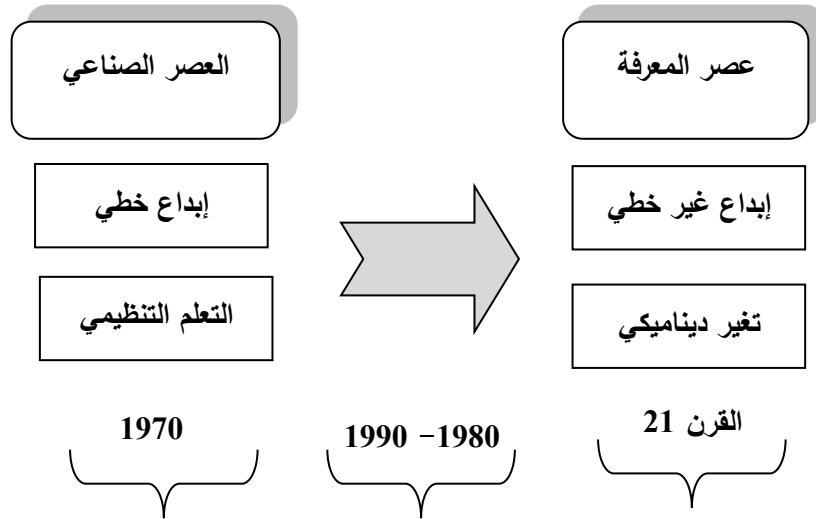
يشير waltz عن Gary Hamel في كتابه Leading the revolution إلى أن ثورة الأعمال في القرن الواحد والعشرين ستنتميز بالتعقيد والسلوك غير الخطي للتكنولوجيا⁸، ويفصل في نفس الكتاب على أن التطور التكنولوجي الحاصل خلال الثلاث عقود السابقة قد مر بثلاث مراحل أساسية هي:

المرحلة الأولى: وكانت خلال فترة السبعينات وقد تميزت بالتركيز على عنصر التحسين من خلال الابتكار والإبداع المستمرين لتحسين المنتجات والخدمات المقدمة في حين ركز التسيير على زيادة الأصول الإنتاجية المادية.

المرحلة الثانية: وكانت خلال فترة الثمانينات والتسعينات، أين تحول الاهتمام نحو الأصول المعنوية Intangible assets، وذلك بترشيد العمليات الإنتاجية من خلال إعادة هيكلة عمليات الإنتاج Business process re-engineering، وقد تزامن هذا التوجه الجديد مع تزايد الاهتمام بتطوير المؤسسات التعليمية (البحث والتطوير)

المرحلة الثالثة: وهي الفترة الزاهنة والمتميزة بالانتشار الواسع للتكنولوجيات الحديثة للمعلومات والاتصالات، وتعقيد العولمة، والثورة غير خطية للإبداع والمرونة، وتزايد عدد المخاطر التي تهدد المنظمات فأصبح تبني أجندة إبداعية غير خطية لمسايرة التغير الدائم في البيئة التشغيلية للأعمال مفتاح الصمود والنجاح في السوق والحفاظ على التنافسية .

الشكل 03: تطور مفهوم الإبداع في الأعمال



تغير كلي في مفهوم العمل تطور في عمليات الإنتاج تحسين المنتجات

Source: Edward waltz, op cit, p 9

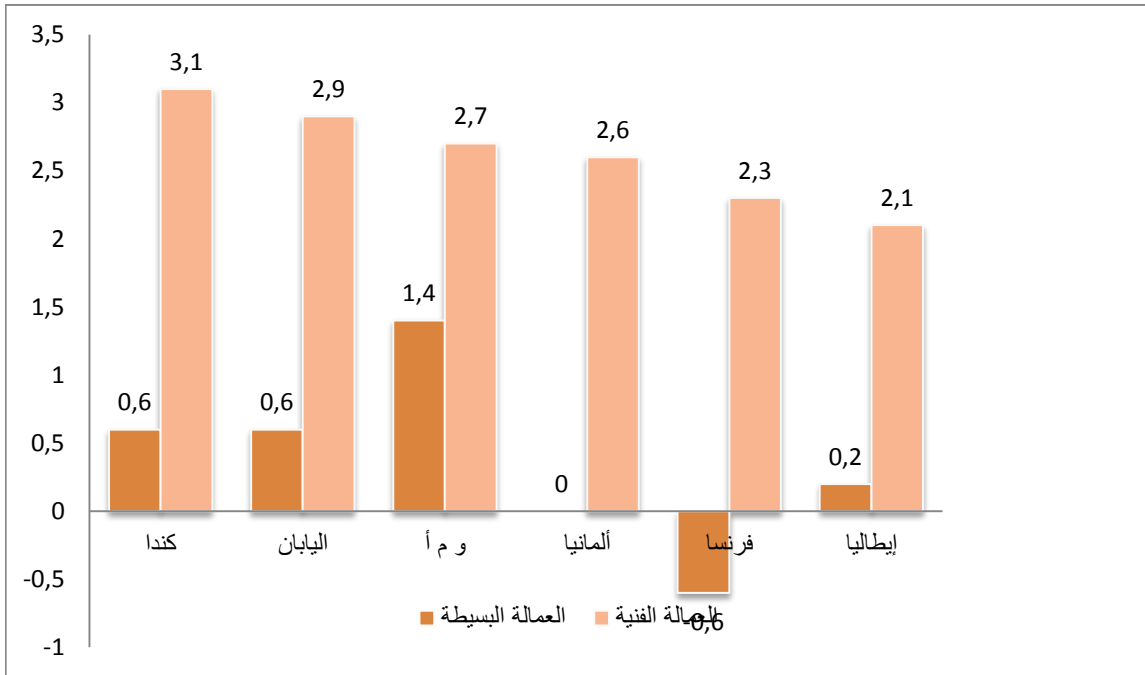
ووفقاً لـ: Hamel فإن روح الإبداع المستمر والمرونة الشديدة أصبحت هي المحددات الأساسية للحفاظ على تنافسية المنظمات في الثورة الغير خطية للأعمال في عصر المعرفة. أين ستكون الكلمة الحاسمة لمفهوم الإبداعي للعمل Business concept innovative و يقصد به القدرة على تغيير نماذج العمل الحالية إلى طرق وأساليب إنتاجية مبتكرة، تمكّن المنظمات من خلق قيمة جديدة للمنتجات، وتحديث انقلاباً في طرق الإنتاج والاستهلاك. وستكون الميزة هنا أمام المؤسسات الصغيرة؛ لأنه وبحسب نفس المؤلف أن الإبداع في مفهوم العمل لا علاقة له برأسمال، والخطر الكبير هنا سيحيط بالقوى العظمى والمؤسسات العملاقة التي يمكن أن تكون ضحية تغيرات جذرية في مفاهيم العمل.

3-4- سيادة العمل المعرفي:

لعل أهم التغيرات التي صاحبت مجتمع المعلومات الحديث، تتعلق أساساً بالتحول في مجال العمل والإنتاج، أي الانتقال من الصناعات التي كانت تشكل محور الإنتاج في عصر الصناعة والتي كانت تعتمد على الجهد العضلي للعامل في عمل محدد متكرر لا يحتاج إلى كثير من تشغيل العقل، إلى

صناعات بازغة جديدة تمثل مركز الثقل فقي الإنتاج، وتعتمد على التطورات التكنولوجية المتلاحقة. وهي في الغالب صناعات تعتمد على المجهود العقلي للعامل وعلى مقدرته على الابتكار والإبداع واستنتاج الأفكار الجديدة غير التقليدية. الأمر الذي أدى إلى تزايد الطلب على العمالة الفنية Skilled labour، حيث تقدر منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية معدل البطالة للأفراد ذوي التعليم المتوسط (تعليم ثانوي فما تحت) 10.5%، في حين تسجل معدل أقل من 3.8% للأفراد الحاصلين على مؤهلات عالية (أفراد حاصلون على شهادة جامعية)⁹.

الشكل 04: متوسط المعدل السنوي لنمو اليد العاملة 1980-1990

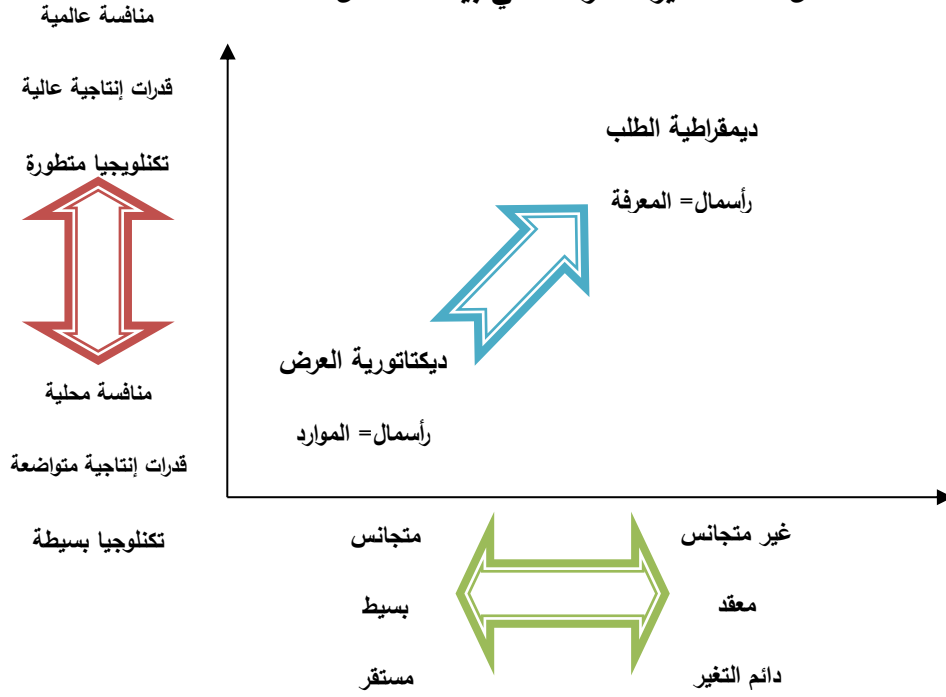


Source : Jérôme Vincent, économie de connaissance, op.cit, p.10

3-5- تشخيص الطلب:

تمارس أغلب المنشآت نشاطها في بيئة ديناميكية أهم ما يميزها هو العولمة وانفتاح الأسواق، الطلب المشخص une demande personnalisés، المنافسة المتزايدة من حيث تجديد وتطوير القدرات الإنتاجية، والمهارات المتميزة، وتطور وتعقد المعارف والتكنولوجيات الواجب السيطرة عليها. في هذه البيئة الاقتصادية الجديدة أصبح الزبون هو الحكم الرئيسي لقواعد اللعبة الإنتاجية، الأمر الذي أدى ببعض رجال الأعمال ك: Charles sirois إلى دعوة المنشآت التخلي عن فلسفة الأعمال القائمة على فكرة ديكتاتورية العرض la dictature de l'offre والأخذ بفكرة ديمقراطية الطلب la démocratie de la demande وأن السيادة في العصر الحالي تكون للمستهلك¹⁰. ويلخص نفس المصدر السابق التحولات الحاصلة في بيئة الأعمال في الرسم الآتي:

الشكل 05: التغيرات الراهنة في بيئة الأعمال



Source: Real Jacob, op cit, p1

خاتمة:

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نفهم مختلف التحولات التي تعصف بالاقتصاد العالمي، ونحلل مختلف الخصائص التي تميز بيئة الأعمال الراهنة، حيث توصلنا إلى أن نمو المعرفة البشرية والانتشار الواسع لتكنولوجيات المعلومات والاتصالات الحديثة قد أدتا إلى إحداث تغييرات جذرية في أنماط عمل المنظمات وأساليب الحياة الاجتماعية للأفراد، وأصبحت المؤسسات مجبرة على محاكاة هذه التغيرات والاستفادة منها قدر الإمكان. ومن جملة هذه التحديات التي تواجهها المؤسسات في الاقتصاد الحالي القائم على المعرفة نذكر ما يلي:

- لقد أصبحت القدرة على المنافسة المباشرة Head to Head competition شرطاً رئيسياً للاستمرار والنجاح وفي الأسواق خاصة بعد عولمة المنافسة وفتح الأسواق (المشروط وغير المشروط)
- لقد أصبح شرط الحجم عاملاً رئيسياً وميزة هامة للبقاء أمام المنافسة وولوج الأسواق الخارجية، الأمر الذي زاد من حدة التحدي أمام المؤسسات الصغيرة والمتوسطة التي أصبحت مجبرة على عقد شراكات أجنبية (وإن كان البعض لا يوافق على هذه النقطة ك: Gary Hamel¹¹)

- لقد أدت عولمة الإنتاج إلى ترشيد عملية الإنتاج، من حيث تنسيق توزيع وتراكم الأصول، تكريس مبدأ التخصص specialization وتعزيز مفهوم الفروع الأجنبية وخطوط الإنتاج العالمية global، Chain of production وبالتالي ضمور عهد الأسواق الداخلية (الطلب المحلي).
- لقد أضحت النشاط الاقتصادي على قدر كبير من المرونة، وأضحت العلاقة بين العرض والطلب أكثر تفاعلية من ذي قبل، وأجبرت المنظمات تبعاً لذلك على تبني نماذج تسويقية حديثة مبنية على تشخيص الطلب.
- تسجل الاقتصاديات المعرفية أرباحاً هائلة جراء التحولات في الأنماط الاستهلاكية والصناعية، وينعكس هذا النمو في الصناعات المعرفية على نمو في مداخل هذه الصناعات، ارتفاع أجور الوظائف المعرفية، استمرار أنشطة البحث والتطوير... الخ .
- يحتم النمط الاقتصادي الجديد القائم على المعرفة على المؤسسات أن تتعلم كيفية تعظيم العائد ليس فقط عن طريق الأصول المادية بل حتى بالاعتماد على الأصول المعنوية، الأمر الذي يستوجب وجود نموذج جديد لمنظمات الأعمال، وأنظمة إدارة جديدة أكثر تأقلاً مع هذه المحركات المعنوية الجديدة للقيمة.
- لقد أدى تزايد الارتباط Inter-dependence بين التجارة العالمية، وحركة رؤوس الأموال، وتدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة، إلى تزايد معدلات نشر المعرفة ونقل التكنولوجيا.
- تغير مفهوم تنافسية المؤسسات من البحث عن الموارد إلى ضرورة الإبداع والتغيير المستمر في طرق وأساليب الإنتاج.
- ينبغي على المؤسسات ترشيد التكاليف وإعادة إعداد المهارات الأساسية (ترقية الحجم التنظيمي، إعادة هندسة نشاطات الأعمال، إعادة هيكلة وحدات الإنتاج وربطها بشكل مباشر مع الأسواق)
- ضرورة التحسين والتطوير المستمرين، وإخضاع المنتجات لمعايير الجودة العالمية (شهادات الإيزو ISO، المعايير التنافسية approche Kaizen, Six Sigma, étalonnage concurrentiel).
- الاعتماد على المعلوماتية والتحول التدريجي نحو النشاط الافتراضي (تجارة إلكترونية، أعمال إلكترونية... الخ) لما له من مزايا تنافسية من حيث التكاليف والفعالية.
- البحث عن أكبر قدر ممكن من المرونة (لامركزية الهياكل والتنظيم déconcentration، تعديد المهارات polyvalence، توزيع المسؤولية على الفرق équipes responsabilisées... الخ)

الهوامش والمراجع

¹ - ibid, p. 11

² - OCDE, 1996, op.cit, p.9

³³ - **John Houghton and Peter Sheehan**, A Primer on the Knowledge Economy, Centre for Strategic Economic Studies, Victoria University, USA, 2000, p. 2

⁴ - **Juergen H. Daum**, intangible assets and value creation, Wiley, England, 2003, p. 3

⁵ - لقد سمحت هذه السياسة للعديد من الموظفين من التحول من مجرد موظفين إلى مساهمين كبار، حيث تقدر شركة ميكروسوفت أنه ما بين

5000 و 10.000 من مبرمجيهها قد أصبحوا من أثرياء الولايات المتحدة من خلال تطبيقها لبرنامج Microsoft stock option program.

⁶ - **Juergen H. Daum**, op.cit, p. 10

⁷ - Ibid, p. 10

⁸ - **Edward waltz**, knowledge management in the intelligence enterprise, Artech house, London, 2003, p.9

⁹ - **Jérôme Vincent**, économie de connaissance, institut d'études politiques de Toulouse, p.10, consultable sur : <http://www.univ-tlse1.fr/lereps/present/vicente.html>

¹⁰ - **Real Jacob**, Gérer les connaissances : un défi de la nouvelle compétitivité du 21^e siècle, Université du Québec à Trois-Rivières, 2000

¹¹ - للتفصيل حول هذه الملاحظة يمكن الإطلاع على العنصر المدرج في البحث تحت عنوان: ضرورة الإبداع لأجل البقاء.